جامعة8 ماي 1945قالمة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مقياس : فلسفة اللغة

الأفواج:4/3/2/1

السنة الثانية دراسات لغوية

الأستاذة: لطيفة روابحية

المحاضرة الثّانية. فلسفة اللغة عند الفارابي

يقودنا الحديث عن الفارابي إلى لفتة مهمة، أدركها الدّارسون في مجال الفلسفة و اللغة، إذ كثيرا ما عُرف بمآثره في التّراث الفلسفي العربي و مناحيه من اهتمام ب: الفلسفة الإلهية، و السياسية، و الأخلاقية، غير أنّهم لم يوجّهوا عنايتهم به بعدّه من الفلاسفة الأوائل الذّين أدركوا أهمية اللغة في البحث الفلسفي، وقد قادته عنايته بالعربية إلى الاحتكاك بالنّحاة واللغويين، مما كان له الأثر الواضح فيما بعدُ في تمكينه من صياغة نظرية متكاملة تبحث في اللغة و ما يتّصل بها، من جانب الألفاظ، أو النحو، أو الأصوات، ليقوده ذلك إلى تصوّر نظرية شاملة في تحديد علاقة اللغة بالفكر.

ولعلّ ما يعنينا من ذلك هو محاولة الوقوف على صنيع الفارابي في مجال اللغة عامة و النحو خاصة، ذلك أنّ العناية بهذين الجانبين قد سبقت الفارابي بزمن طويل، فكما شُغل لغويو ونحاة القرن الرابع الهجري بدراسة اللغة على مختلف المستويات، فقد شُغل الفلاسفة والمفكّرون بالقضية اللغوية من حيث مفهومها العام الذي يتجاوز لسانا ما بعينه إلى ما هو مشترك بين ألسنة كل الأمم، وهو ما تنبّه له الفارابي منذ وقت مبكّر، فكان للقضية اللغوية عنده المكانة الأولى، يظهر ذلك من خلال جعله القسم الأوّل من "كتابه: «إحصاء العلوم «،لعلم اللسان و أجزائه، مُتبعا إيّاه ب:"علم المنطق.

يرى الفارابي أنّ الألفاظ الدّالة في لسان كلّ أمّة ضربان: الأوّل مفرد كالبياض و السّواد، والثّاني مركّب، كقولك: الإنسان حيوان، و عمر أبيض...و يحدّد وفقا لها أنواعها والأجزاء التي تحتوي عليها، فالمفردة تدلّ على أجناس الأشياء، و أنواعها، و حفظها و روايتها كلها، الخاص بذلك اللسان أو الدّخيل فيه، أو الغريب عنه، و علم الألفاظ المركبة وهو علم الأقاويل التي صنّفها خطباؤها و شعراؤها، ونطق بها البلغاء و الفصحاء المشهورون، طوالا كانت أو قصارا، موزونة كانت أو غير موزونة.

احتلّ علم النّحو عند الفارابي مكانة جدّ مهمّة، وهو إذْ يتحدّث عن النّحو لا يقصد نحو لغة ما، وإنّما عُنِيَ بنحو عام يشمل الألسنة جميعها، و قد أكّد عنايته بالنّحو في مواضعَ كثيرة، مبرزًا أهميته في تقويم اللسان و حفظه من اللّحن، فيقول:" وعلم قوانين الأطراف المخصوص بعلم تكون أوّلا للأسماء ثمّ للكلم، وأنّ أطراف الأسماء منها ما يكون في أوائلها مثل ألف لام التّعريف العربيّة، أو ما قام مقامها في سائر " الألسنة، ومنها ما يكون في نهاياتها، وهي الأطراف الأخيرة وتلك تُسمَّى حروف الإعراب.

والذي لا شكّ فيه أنّ المنهج اللغوي و النّحوي و العلمي لدى الفرابي قد انبنى أساسا على منهج منطقي، يدلّ على ذلك قوله الآتي:" وأمّا من زعم أنّ الدّربة بالأقاويل و المخاطبات الجدليّة أو الدّربة بالتّعاليم، مثل الهندسة والعدد تُغني عن علم قوانين المنطق، أو تقوم مقامه وتفعل فعله، وتُعطي الإنسان القوة على امتحان كلّ قول(...) فهو مثل من زعم أنّ الدّربة والارتياض بحفظ الأشعار و الخطب والاستكثار من روايتها يُغني في تقويم اللسان وفي أنْ لا يلحنَ الإنسان، عن قوانين النّحو(...) فالذي يليق أنْ يُجابَ به في أمر النّحو ها هنا هو الذي يُجاب به في أمر المنطق هناك ،وبعد أن يفرغ من تحديد الأصول العامة للنحو، تراه يخصّ كلّ أمّة بلسان، أي إنّ لكل أمة نحوها، ولكن المنطق مشترك عام في جميع اللغات.

إنّ الإشارات الكثيرة التي نبّه عليها الفارابي، مما ذكرناه و ما لم نذكره، و نظرته الفلسفية لأصول علم النّحو تُحيل على أنّ النّحو علم عربي أصيل، لِيُفنّدَ بذلك تلك الأفكار التي يبحث أصحابها عن آثار اليونانية و الهندية و غيرها في النّحو العربي، بل إنّ نشأة النّحو في العربية كذلك و قد اكتمل على أيدي: الخليل بن أحمد، و سيبويه، على أنّ ما توصّل إليه لا ينفي مُطلقا اعتماد اللغويين و النّحاة علم المنطق بعدِّه وسيلةَ التّفكير الصّحيح، بمعنى أنّهم حينما اعتمدوه في بحوثهم كانوا حريصين على عدم المساس بأصالة النّحو العربي.

وفي سياق نظريته، يعْقِد الفارابي مقارنة بين العلمين (النّحو و المنطق)، لِيخلُص إلى أنّ بينهما تشابه ما، يوضّحه بقوله:" ...لكن بين صناعة النّحو و بين صناعة المنطق تشابه ما، وهو أنّ صناعة النحو تفيد العلمَ بصواب ما ننطق به، والقوّة على الصّواب منه بحسب عادة أهل لسان ما، وصناعة المنطق تفيد العلم بصواب ما يُعقل و القدرة على اقتناء الصواب فيما يُعقل، وكما أنّ صناعة النحو تقوّم اللسان حتّى لا يلفظ إلا بصواب ما جرت به عادة أهل لسان ما، كذلك صناعة المنطق تقوّم الذّهن حتّى لا يعقِل إلا الصّواب من كلّ شيء.

يمكن مما سبق أن نتبين نظرة الفارابي الفلسفية للغة والتي تتميز بالشّمول، و الكلية، إنّه يَعدُّ اللغة وحدةً متكاملة، ويرى بأنها ضرورية لفهم الفلسفة، هذه الأخيرة التي تقوم على ثنائية " الفكر والوجود"، لذا أمكن القول: إنّ الإنسان يفكّر من خلال اللغة، وأنّ سلامة اللغة تدلّ على سلامة التّفكير.